مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب
Issn:2572-0058/E-issn:1969-2676
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/485

المجلد: 05 العدد:02- جوان 2021 ص190/205

تمثّلات الاستعارة العرفنيّة في قصيدة "انخطافات الليلة الثالثة" للشاعر "عياش يحياوي*"

Representations of customary metaphors In the collection of "What a Barefoot Heart Sees in the Time of Shoes " by the poet "Ayyash Yahyaoui".

د، عزالدين عماري*
جامعة المسيلة (الجزائر)
azzeddine.ammari@univ-msila.dz

أ، أسيا مرهون
جامعة المسيلة (الجزائر)
Marhoun 098@gmail.com

معلومات المقال

تاريخ الارسال: 2021/05/.09
تاريخ القبول: 2021/05/23

الكلمات المفتاحية:
- ✓ الاستعارة،
- ✓ العرفنية،
- ✓ الانطولوجية،
- ✓ الاتجاهية،

الملخص:

للسانيات العرفنيّة الفضل الكبير في تأسيس رؤية جديدة لمختلف المفاهيم البلاغية القديمة، وبخاصة فيما يتعلق بعلم البيان، وبالخصوص منه ما تعلق بالاستعارة؛ هاته التي احتلت مكانا بارزا في الدراسات البلاغية والأدبية قديما وحديثا، انطلاقا مما قيل حول حقيقتها من حيث إنها مجرد زخرف لفظي مضاف للمعنى أم أنها جزء لا يتجزأ منه، وما قيل في أنواعها، وفي الغرض منها في الكلام، وصولا ما تبنته النظرية التفاعلية للاستعارة، والتي تنطلق أساسا في فهم للاستعارة من طريقة التفكير وفهم العالم.

من هنا تسعى هذه المداخلة إلى تسليط الضوء على حقيقة " الاستعارة"،

*المؤلف المرسل

✓ البنيوية.	وبيان أنواعها، في ضوء اللسانيات العرفنية ومقاربة كل ذلك في قصيدة " انخطافات الليلة الثالثة " للراحل عياش يحياوي.
Article info	*Abstract :*
Received 09/05/2021 *Accepted* 23/05/2021	*Secular linguistics has the great merit in establishing a new vision of the various ancient rhetorical concepts, especially with regard to the science of rhetoric, and especially with regard to metaphor. These have occupied a prominent place in rhetorical and literary studies, in the past and present, based on what has been said about their truth in that they are merely a verbal decoration adding to the meaning or an integral part of it, and what was said in its types and in its purpose in speech, up to what the interactive theory of borrowing adopted Which starts with an understanding of a metaphor from the way of thinking and understanding the world.* *Hence, this work seeks to shed light on the reality of "borrowing" and its types, in light of customary linguistics and an approach to all of this in the poem "The Steps of the Third Night"by the late Ayyash Yahyaoui.*
Keywords: ✓ *Metaphor,* ✓ *customism,* ✓ *ontology,* ✓ *directionality,* ✓ *structuralism.*	

. مقدمة:

لقد اكتسبت الاستعارة شكلا متميزا وطابعا مختلفا في ضوء الأفكار التي انبثقت مؤخرا ضمن ما يسمى بالعلم المعرفي أو العرفّني، وتكتسب هذه الدراسة أهميتها كونها تصب ضمن نسق معرفي جديد ألا وهو العلم المعرفي أو اللسانيات العرفّنية، وهذا ما يعزز من مكانتها في حقل الدراسات اللغوية بشكل عام واللسانية بشكل خاص، ضف الى ذلك ارتباطها بأحد أهم أعمال الأديب الراحل "عياش يحياوي" الذي طالما تفردت كتاباته بتجربة شعرية ميزته عن غيره وبالتالي نحاول من خلال هذا الموضوع الاجابة على إشكال مفاده:

- كيف تجلت الاستعارة الذهنية كبعد عرفّني في شعر "عياش يحياوي"؟
- وهل استطاعت الاستعارة بمنظورها العرفنّي الجديد تحقيق فهم المعنى لدى المتلقي؟

وقبل ذلك سنتطرق إلى مفهوم اللسانيات العرفنية و بعدها إلى مفهوم الاستعارة العرفنّية .

01-مفهوم اللسانيات العرفنيّة:

نشأ و تطور هذا العلم في الثمانينات من القرن الماضي، وبالضبط عام 1987م، في الولايات المتحدة الأمريكية، وهو علم لغوي يجمع بين جملة من العلوم « تدرس اشتغال الذهّن والذكاء دراسة أساسها تضافر الاّختصاصات تساهم فيها الفلسفة وعلم النفس والذكاء الاصطناعي وعلوم الأعصاب (علوم الدّماغ) واللّسانيات والأنثروبولوجيا كما تدرس العلوم العرفنية الذّكاء عامّة والذكاء البشري وأرضيته البيولوجية التي تحمله وتعنى كذلك بمنّوله وتبحث في تجلياته النفسية واللّغوية والأنثروبولوجيا »[1]، فهو يرتبط ارتباطا وثيقا بالدراسات النفسية التي تهتم بعمل الدماغ ومتابعة العمليات العقلية المختلفة التي تتصل بالمعرفة الإنسانية والإدراك بشكل عام.

إن اللسانيات العرفنية تهتم بدراسة اللغة في ضوء العمليات الذهنية العرفنية، حيث يتضافر فيها الذهن والذكاء مع العلوم الأخرى الفلسفة وعلم النفس والذكاء الاصطناعي وعلوم الأعصاب واللسانيات و الأنثروبولوجيا[2] .

إن ما تذهب إليه اللسانيات المعرفية هو عدم القول باستقلالية النظام اللغوي، بمعنى عدم الأخذ بما يذهب إليه تشو مسكي من أن تطور اللغة عند الطفل يأتي كليا من نموذج نحوي مستقل في الدماغ يبنى بالكامل بتعليمات خاصة به؛ وإنما ترى بأنه لا انفصال بين المعرفة اللغوية والتفكير بشكل عام.

إن اللغة من منظور اللسانيات المعرفية لا تنفصل عن الخبرة الإنسانية التي تشكلها التجربة والتي تؤثر في الطريقة التي ندرك بها الأشياء ونصوغ بها مفاهيمنا المختلفة . والتعبير عن الأشياء والمفاهيم، وهو بعد لغوي، يتأثر، بلا شك، بكيفية إدراكها. فاللغة ليست مستقلة أو

مغلقة على ذاتها ولا يمكن وصف نظامها الداخلي وصوغ قواعده وقوانينه بمعزل من البنية التصورية أو المعرفية التي تؤسس لمبادئ عامة في الخبرة البشرية تؤثر مباشرة في بنية المبادئ اللغوية المختلفة[3].

إن ما يميز أصحاب هذا التيار عن أصحاب النظرة التقليدية في الدراسات اللغوية الغربية المنبثقة من الفلسفة الأرسطية هو أن أصحاب هذه النظرة التقليدية يهملون الخيال، ولا يضعون له دورا أساسيا في عمليات التفكير والإدراك. فالدراسات التقليدية في اللغة والفلسفة وعلم النفس، وهي ما يطلق عليها مصطلح " Objectivism "، ترى أنّ هناك بنية موضوعية للحقيقة وللعالم الخارجي مستقلة عن معتقدات البشر، وأنه لابد لكي نصف هذه البنية من أن نستعمل التفكير الموضوعي المنطقي الذي ليس للخيال فيه أثر[4] .

إن تبلور البعد المعرفي، وتشعُّب إجراءاته في العلوم اللغوية، سببه سعي المنظّرين لإيجاد حلول للصعوبات التي تقف في كل مرة عائقا أمام تفسير عملية إنتاج المعنى وتأويله في مختلف مظاهر الإنتاج التي تتخذ المعنى محورا لها، (الخطابات اللغوية وغير اللغوية)، ونذكر منها: نظرية الدلالة التصورية لـ " جاكندوف "، والتي اعتبر فيها أن البنية الدلالية هي البنية التصورية، ونسقية التصورات الاستعارية (الاستعارة) عند " لايكوف " و " جونسون " ونظرية الأفضية الذهنية لـ" فوكونيي"....

وما يميز هذه النظريات المعرفية وغيرها، هو منهجها العلمي القائم على المقاربة النفسية والمعرفية في تفسير إنتاج المعنى، أي أن ميدانها هو " الذهن "، لذا تكثر فيها المصطلحات من قبيل: " التمثيل الذهني "، " الفضاء الذهني " " الإسقاط "، "سيرورة المعنى في الذهن أو الدماغ"، " التصور"[5] .

02- الاستعارة التصورية (العرفنية):

يختلف مفهوم الاستعارة وفق هذا التصور عن مفهومها التقليدي، وهذا ما نجده عند كل من " لايكوف وجونسن " حين يقرران بأن تصورهما للاستعارة يناقض ما يذهب إليه المفهوم

التقليدي، إذ إن الاستعارة بالنسبة إليهما آلية جوهرية في حصول الفهم البشري، وبالتالي فهما يعارضان التيارات المركزية في الفلسفة الغربية، والتي تعتبر الاستعارة عاملا ذاتيا[6]، ومنه فإن الاستعارة التصورية ليست مجرد أسلوب في اللغة، بل هي تركيب بنيوي في جهاز التصور والتفكير لدى الإنسان إذ إنه مفطور على أن يفكر بشكل استعاري وأن تتحكم في أفكاره وسلوكه تلك الاستعارات التي تملأ فكره ولغته عن العالم من حوله، يقول لايكوف و جونسن:" إن الاستعارة حاضرة في كل مجالات حياتنا اليومية، إنها ليست مقتصرة على اللغة، بل توجد في تفكيرنا وفي الأعمال التي نقوم بها أيضا، إن النسق التصوري العادي الذي يُسَيِّر تفكيرنا وسلوكنا له طبيعة استعارية بالأساس "[7]، ولتوضيح ذلك قدم الباحثان استعارة " الجدال حرب "، وعن هذا التصوُّر الاستعاري تتراكم في لغتنا اليومية بنيات استعارية؛ مثل:

الجدال حرب:

-لايمكن أن تدافع عن ادعاءاتك.

-لقد هاجم كل نقط القوة في استدلالي.

-أصابت انتقاداته الهدف...[8].

إن جزءا كبيرا من الأشياء التي نقوم بها كما تبين التعابير السابقة (نهاجم مواقفا، نربح أو نخسر المواقع ، نضع استراتيجيات ...) حين الجدال يبنينها تصور الحرب، "وإذا كنا لا نجد معركة مادية (حقيقية) فإننا نجد معركة كلامية، وبنية الجدال (الهجوم ، الدفاع ، الهجوم المضاد ...الخ) تعكس ذلك.بهذا المعنى تكون استعارة الجدال حرب من بين الاستعارات الموجودة في ثقافتنا والتي نحيا بها: إنها تبنين الأنشطة التي ننجزها عندما نتجادل"[9].

ولتأكيد هذا الطرح، يذهب الباحثان إلى افتراض وجود ثقافة لا ينظر فيها إلى الجدال بعبارات الحرب، ولا وجود فيها للتصورات السابقة من هجوم أو الدفاع أو ربح أو خسارة، يقولان: " لنتخيل ثقافة ينظر فيها إلى الجدال باعتباره رقصة، و المتجادلان ممثلان هدفهما إنجاز الرقصة ببراعة وأناقة. ففي ثقافة كهذه سينظر الناس إلى الجدالات بشكل مخالف، وستختلف تجربة

الجدال لديهم،.. .و سيبدو لنا، بدون شك، غريبا أن نسمي ذلك جدالا، وربما كانت الطريقة المحايدة التي نصف بها هذا الاختلاف الحاصل بين ثقافتهم وثقافتنا أن نقول: نشاطنا الجدالي تبنينه ألفاظ المعركة وأن نشاطهم الجدالي تبنينه ألفاظ الرقص"[10].

إن أهم ما تقوم به الاستعارة " الجدال حرب"، هو إتاحة فهم جزئي لنوع من التجارب من خلال نوع آخر، وهذا لا يعني أن الجدال يعد فرعا من الحرب، " فالجدالات والحروب نوعـــان من الأشيـاء مختلفـان

(الخطاب الكلامي والصراع المسلح)، والأنشطة المنجزة (في كليهما) تختلف. فالجدال، في جزء منه، مبنين ومفهوم ومنجز ومعلق عليه انطلاقا من الحرب. (فأن نقول) إن التصور مبنين استعاريا فمعنى ذلك أن الأنشطة واللغة مبنيان استعاريا"[11] .

إن ما يقصده الباحثان من القول بأن النسق التصوري البشري مبينن ومحدد استعاريا، هو أن الاستعارة لا ترتبط باللغة أو بالألفاظ بل إن سيرورات الفكر البشري هي التي تعد استعارية في جزء كبير منها، ومن أجل تحديد البنية الاستعارية المتحكمة في هذا النسق قسم الباحثان الاستعارات إلى اتجاهية وأنطلوجية و بنيوية.

أ-الاستعارات الاتجاهية:

إن أغلب الاستعارات الاتجاهية يرتبط بالاتجاه الفضائي، فوق، تحت، خارج، داخل ، أمام، وراء،... وتنبع هذه الاتجاهات الفضائية من وضعية الجسد البشري وكيفية اشتغاله في المحيط الفيزيائي، غير أن هذه التعالقات مع التجربة الفيزيائية غير كافية وحدها، بل لا بد من العامل الثقافي الذي يحدد نوع التعالق المختار حيث " تقدم التجربة الثقافية والفيزيائية العديد من الأسس الممكنة لاستعارات التفضية، ولهذا السبب يمكن أن يختلف اختيارها وأهميتها نسبيا من ثقافة إلى أخرى "[12].

هذا النوع من الاستعارات يعطي توجها فضائيا لنسقنا التصوري، ومن أمثلة التصورات الاستعارية الاتجاهية المنبثقة عن التصور المباشر " فوق، تحت "مع ما يقابله من أمثلة لغوية

تعكسها، وهي مأخوذة عن لايكوف وجونسن، الاستعارة التوجيهية " السعادة فوق و الشقاء تحت " فالمرتكزات الفيزيائية لهذا التصور أن وضعية السقوط ترتبط بالشقاء والانهيار، بينما ترتبط وضعية الانتصاب بحالة عاطفية إيجابية، ومن أمثلتها اللغوية أن نقول: إنني في قمة السعادة، أو نقول: سقطت معنوياتي[13].

ب-الاستعارات الأنطولوجية:

تنتج عن تجاربنا مع الأشياء الفيزيائية (وبخاصة أجسادنا)، وعلى العموم " تسمح لنا الاستعارات الأنطولوجية برؤية بنية مرسومة بوضوح أكبر، حيث توجد بنية مرسومة بوضوح أقل، أو غير واضحة البتة "[14]، و يمكن أن نميز في ذلك، استعارات الكيان والمادة التي تقدم طرقا للنظر إلى الأحداث والأنشطة والإحساسات والأفكار، وغيرها باعتبارها كيانات ومواد[15]، وما يمثل به الباحثان في ذلك، تجربة ارتفاع الأسعار التي يمكن أن تعتبر، استعاريا، كيانا نسميه التضخم، وبهذا نحصل على طريقة للإحالة على هذه التجربة: " التضخم كيان:

- إن التضخم يخفض مستوى عيشنا.
- إذا تفاقم التضخم لن نتمكن من العيش.
- يجب محاربة التضخم..."[16].

إن اعتبار التضخم كيانا يسمح لنا بالإحالة عليه وبتكميمه، وبأن نعين منه جزاء خاصا، وبأن نرى فيه سببا وبأن نتصرف بحيطة إزاءه، وربما بأن نعتقد أننا نفهمه.

كما يمكننا أن نميز استعارات الوعاء، والتي تعكس بشكل جلي ذلك التفاعل القائم بين وجودنا الفيزيائي في العالم، ونظرتنا لما يحيط بنا ويفعل فينا سواء تعلق الأمر بكيانات فيزيائية (الأقاليم الأرضية، مجال الرؤية) أو بأنشطة (السباق مثلا) تتضمن أعمالا وأحداثا أخرى، ومن أمثلة الأشياء الفيزيائية التي نسقط عليها هذا التصور الغرف والمنازل فالتنقل من غرفة لأخرى تنقل من وعاء لآخر، كما أننا نسقط هذا التوجه على أشياء صلبة إننا نكسر صخرة لنعرف ما

بداخلها بل إن هذا الإسقاط يشمل أيضا محيطنا الطبيعي فنعتبر الفجوة داخل الغابة مساحة ذات حدود ونعتبر أنفسنا داخل الفجوة أو خارجها ، داخل الغابة أو خارجها[17].

و يعتبر التشخيص أيضا مقولة عامة تغطي عددا كبيرا من الاستعارات، وهذه الأخيرة تسمح لنا بأن نعطي معنى للظواهر المختلفة عن طريق ما هو بشري، و يجب أن نعتمد على محفزاتنا، وأهدافنا، و أنشطتنا وخصائصنا حتى نفهم هذه الاستعارات، وبمفهوم آخر فإن " استعارات التشخيص التصورية، تتضمن فهم كيانات غير بشرية، أو أشياء من خلال الكائن البشري، وبالتالي تنسب خصائص بشرية للأشياء "[18].

ولقد مثل الباحثان لتوضيح ذلك بتشخيص التضخم، كما يلي:

- هاجم التضخم أسس اقتصادنا.
- طرحنا التضخم على الأرض.
- إن ألد أعدائنا، حاليا، هو التضخم.
- لقد هد التضخم الدولار.
- ذهب التضخم بكل ما وفرناه.
- خدع التضخم أحسن الخبراء في البلد.
- أنجب التضخم جبلا من الانتهازيين.

مما سبق يتبين أنه " بالنظر إلى شيء مجرد مثل التضخم عن طريق ما هو بشري له سلطة تفسيرية تشكل – بالنسبة لغالبيتنا- الوسيلة الوحيدة لإعطائه معنى، إننا حين نتعرض إلى خسارات مالية مادية لأسباب اقتصادية وسياسية معقدة لا نفهمها حقا، فإن استعارة التضخم عدو تسمح لنا على الأقل بإعطاء تفسير متسق لسبب ابتلائنا بهذه الخسارات "[19]

ت- الاستعارات البنيوية: إن هذا النوع من الاستعارات يكمن في بنينة أنساق تصورية لها حدود تتسم بوضوح أقل استنادا إلى أنساق تصورية لها حدود تتسم بوضوح أكثر[20]، أو أنها استعارات " تستخدم في بنينة النسق التصوري لإدراك مجالات جديدة من خلال مجالات

مبنينة مسبقا"[21].

إن الاستعارات البنيوية شأنها شأن الاستعارات الأنطلوجية والاتجاهية تتأسس على ترابطات نسقية داخل تجربتنا، فاستعارة الجدال العقلي حرب، تسمح بإقامة تصور لما هو الجدال العقلي بالاستعانة بشيء نفهمه بطريقة أسهل، وهو الصراع الفيزيائي (الحرب). ففي مملكة الحيوانات التي تسعى إلى الحصول على ما تحتاجه من فرائس وملكية أو سلطة ...الخ، تتعارك مع حيوانات أخرى ترغب في الأشياء نفسها، ينطبق الأمر نفسه على البشر، فكل ما تقوم به الحيوانات في عراكها من ممارسات: التحدي قصد تخويف العدو وغزو مساحته، والدفاع عن الموقع والهجوم والهجوم المضاد والانسحاب أو الاستسلام، والمعركة البشرية تتضمن كل هذا.إلا أن كوننا"حيوانات عاقلة " جعل صراعاتنا ومعاركنا، ومنها الحرب، مؤسساتية بطرق متعددة. إلا أنه وإن كنا قد جعلنا المعارك مؤسسية على مر العصور فإنالبنية الأساس للمعركة تظل في العمق ثابتة لا تتغير، إلا أن الجانب الإيجابي في كوننا حيوانات عاقلة يحصل بقدرتنا على نيل ما نريده دون اللجوء إلى صراع مادي حقيقي، ولهذا ابتكرنا مؤسسة الجدال الكلامي الاجتماعية[22].

قد يتحول الجدال إلى عنف فيزيائي، أو قد تكون المعركة الكلامية بنفس صيغة المعركة الفيزيائية، ولتوضيح طبيعة هذه العلاقة قدم الباحثان مثالا عن خصام بين زوجين: إذ يسعى كل من الزوج والزوجة إلى تحقيق غاياتهما، وذلك عن طريق حمل الآخر على تبني رأي معين بصدد إحدى المشاكل أو حمله على التصرف آخذا بعين الاعتبار ذلك الرأي على الأقل، فكلاهما يتصور أن هناك شيئا سيربحه أو سيخسره. وأن هناك مساحة يغزوها ومساحة يدافع عنها، ففي الجدال نهاجم، ندافع، نستسلم، و نهرب باستعمال كل الوسائل الكلامية المتاحة: التحدي ، التهديد ، الشتم ، التسلط ، المساومة ، الإطراء، وكذلك محاولة تقديم " حجج عقلية ". إلا أن هذه الوسائل التكتيكية في الغالب قد تقدم باعتبارها أسبابا، ومن الأمثلة على ذلك:

- لأنني أقوى منك. (تحـد)

- لأنكِ إن لم تفعل فسأضطر إلى كذا وكذا. (تهديد)

- لأنني أنا الرئيس (تسلط)

-لأنك غبي (شتم)

-لأنك تتصرف عادة بشكل سيء (استخفاف)

-لأنني مثلك تماما، لي الحق في ذلك(تحدي التسلط)

-لأنني أحبك (تهرب)

-لأنك إذا فعلت كذا، فإنني سوف ... (مساومة)

-لأنك الرجل المناسب للقيام بذلك (إطراء)

تبين الأمثلة السابقة أن الجدالات المستعملة لهذا النوع من الوسائل التكتيكية هي الأكثر شيوعا في ثقافتنا ، ونظرا لارتباطها الوثيق بحياتنا اليومية ، فإننا لا نكاد ننتبه إليها. إلا أن هذه الوسائل التكتيكية السابقة (التحدي، المساومة، التسلط، الاستخفاف، التهديد) تعتبر غير عقلية خاصة في الأوساط الأكاديمية والقانونية والديبلوماسية والدينية والصحفية، حيث يتم انتهاج صيغة أسمى في الجدال العقلي وحيث الوسائل التكتيكية المسموح بها هي:

-إقامة مقدمات منطقية.

-سرد براهين تؤكد هذه المقدمات.

-رسم استنتاجات منطقية.

غير أنه حتى في أكثر الحالات المثالية التي تتوافر فيها هذه الشروط فإن الجدال العقلي يدرك وينفذ بواسطة الحرب، فهناك دائما مساحة نغزوها وأخرى ندافع عنها، ويمكن أن نربح أو نخسر.

يرى لايكوف وجونسون أن " الاستعارات الجديدة في الأغلب بنيوية، وبإمكانها أن تبدع مشابهات بنفس الكيفية التي تبدعها بها الاستعارات الوضعية التي تكون بنيوية، ومعنى هذا أنها قد ترتكز على مشابهات ناشئة عن استعارات انطولوجية واتجاهية"[23]، والباحثان يشرحان هنا

كيف تنشأ الاستعارة في ذهن المتكلم أين تكون في البداية بنيوية، لكنها ترتكز على مشابهات ناشئة عن استعارات انطولوجية واتجاهية.

03- نماذج للاستعارة العرفنية من القصيدة:

إن الوقوف عند كل ما تم رصده من استعارات في القصيدة وبيان نوعها وشرحها ذلك مما لا يتسع له المقام ، وإنما سيأتي البحث على ذكر نماذج منها وبيان نوعها وشرحا على سبيل التمثيل لا الحصر ، وذلك كما يلي:

أ- " تشحن أرياحها بالعويل "[24]:

لم تعد الاستعارة من المنظور العرفنّي ظاهرة لغوية ناتجة عن عملية الاستبدال أو النقل كما كانت تعرف في النسق الكلاسيكي، بل تجاوزت هذا التصور إلى أنها أصبحت عملية إدراكية كامنة في الذهن، تؤسس أنظمتها التصورية، و تعبر عن تجاربنا الحياتية، و هي بذلك ظاهرة تصورية لا لسانية.

وفي الاستعارة **" تشحن أرياحها بالعويل"** يصوّر الشاعر الرياح في صورة مركب مثلا يشحن بالمواد، وهي استعارة انطولوجية يصور بها المعنوي عن طريق المادي، أمّا الاستعارة الاتجاهية متفاعلة مع الاستعارة الأنطولوجية فهي تمدّنا بأساسٍ غنيّ لفهم التصوّرات بواسطة الاتجاه، فالرياح لها صفة القوة والسرعة والتحرّك في جميع الاتجاهات، بمعنى قوة الانتشار، وهذا ما يساعد على أن يصل ما تم شحنه " العويل " إلى كل الأماكن وفي أقل وقت ممكن، ومن هذا التعبير تتولد استعارات بنيوية تستعمل في حياة الناس من مثل " شحنه بالكراهية "، و " يوم مشحون بالمتاعب"، ...

ب- " جنوني الطفوليّ "[25]:

تبنى هذه الاستعارة من خلال تصوير ما هو معنوي بما هو مادي، وهي استعارة انطولوجية صور فيها " الجنون " شخصا طفوليًا. هذه الاستعارة تجعلنا نفهم صفة الجنون استنادا إلى خصائص وصفات بشرية، " يجعلنا هذا النوع من الاستعارات نمنح معنى ودلالة لمختلف

الظواهر الموجودة في العالم عن طريق ما هو بشري، ويتم فهمنا للأشياء كما لو كانت أشخاصا، وكأنها تمثل السبيل الوحيد لمنحها معنى ما، وفي حياتنا اليومية العادية عادة ما نلجأ لاستخدام مثل هذه التعابير، ونعتبرها بمثابة مسلمات وبديهيات"[26].

ت- " أرى رغبتي تتشظى"[27]:

تجسد العبارة استعارة انطولوجية تبنى من خلال أننا نتصور " الرغبات" باعتبارها كيانا ومادة، فهي مع ما تحمله من مشاعر وأحاسيس تبقى مجردة، غير أننا بحكم تعاملنا الفيزيائي وخلفياتنا الثقافية نتعامل معها كونها كيانا أو مادة، وبالتالي فهذه " الرغبة" قابلة لأن تكسر وتتحطم مثلها مثل المواد الصلبة.

تتضافر الاستعارة الانطولوجية مع الاتجاهية في بناء التصور القائم على تجارب الفرد الفيزيائية والثقافية، فالتشظي حين يحدث لا يأخذ اتجاها معينا وإنما يكون في جميع الاتجاهات (فوق ، تحت، يمين، شمال)، وهذا ما تفرزه أنشطتنا وتجاربنا الفيزيائية، فالكأس حين سقوطه مثلا تتناثر قطعه في كل الاتجاهات، والجماعة حين تتشظى تتفرق في جميع الاتجاهات، وهذا التصور السالف الذكر يكون لما هو مادي محسوس، غير أننا نجد الشاعر بعبارته السالفة الذكر قد عبر عن اليأس و خيبة الأمل بتصويره تصويرا مجردا، حيث يتم إسقاط حسية الفعل " تشظى" على التصور المجرد اليأس وخيبة الأمل.

ث - " أذبح للشمس طيشي"[28] :

و في هذا تجسيد لاستعارة بنيويّة تمّت فيها بنية نسق تصوّريّ استنادا إلى نسق آخر، والاستعارةُ التصوّريّة تتولّدُ من تآلفِ اللغة مع الذهنِ عبر انسجامات تصوّريّة نستطيع من خلالها فهْم مجالٍ تصوّريّ (الهدف)، عن طريق مجالٍ تصوّريّ آخر يُسمّى (المصدر)، وقد أوضح كلٌّ من لايكوف وجونسون أنّ جوهر الاستعارة التصوّريّة يكمنُ في كونها تتيحُ فهْم شيء ما، وتجربته أو معاناته، انطلاقاً من شيء آخر، لذا فليستْ الاستعارة التصوّريّة قائمةً على اللغة، بل الذهنُ هو مركزُها.

يتجلى لنا المظهر التصوّريّ الانطولوجي من خلال تصوير معنوي " الهدف: الطيش" عن طريق مظهرٍ تصوّريّ آخر مادي " المصدر: القربان"، وذلك من خلال بنية التصوّر في الذهن، فهو يقدم طيشه قربانا للشمس، والقربان في مرحلة ما كان يقدمه الإنسان من أفضل ما عنده ليتقرب به، والطيش علامة من علامات الفتوة وميزة لمرحلة خاصة من مراحل عمر الإنسان لها قيمتها في حياته، وبالتالي فهو يتقرب به، وتتفاعل الاستعارة التوجيهية مع الانطولوجية في بناء هذا التصور، ذلك القربان يقدم إلى من هو أعلى قدرا ومنزلة، أي من الأدنى إلى الفوق، وهذا الفوق هو " الشمس" وهي في الثقافة العربية قد تعبر عن الرفعة وعلو المكانة، فالشاعر يخاطب ممدوحه:

أنت شمسٌ والملوك كواكبُ إذا طلعتْ لم يبدُ منهن كوكبُ[29]

كما قد تعبر عن الجمال لارتباطها بالنور والوضاءة والسطوع.

ج-ارتطمت بوهج الفجيعة واستوطنتني الوحوش[30]:

تبنى هذه الاستعارة من خلال تصوير ما هو معنوي بما هو مادي، وهي استعارة انطولوجية صور فيها الفجيعة بشيء يتقد، إذ إن الوهج هو الاتقاد واشتداد الحرارة، وهو يكون للنار مثلا، وقد استعمله الله سبحانه وتعالى في قوله ﷻ﴿ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴾[31]، وهو تعالى يعني بالسراج: الشمس و وَهَّاجًا يعني بها: وقادا مضيئا.

ونجد الشاعر ابن الرومي مثلا، يقول:

فوهّج القلبَ كما توهَّجا أقسمتُ بالليلِ إذا الليلُ دجا

حيث جعل القلب يتوهج مثله مثل الشمس، وبناء على تلك الصورة التي استقرت في البنية التصورية للناس، استخدمه

الشاعر " عياش يحياوي" حيث جعل الفجيعة تتوهج، فتحول بذلك المعنوي إلى مادي. وهذا البناء يقوم كله على ما لدينا

من تجارب وثقافة تتعلق بالتوهج.

والأمر عينه في قوله " واستوطنتني الوحوش"، حيث يصور الشاعر ذاته على أنّها غابة وهي استعارة مرتبطة بالتصورات الذهنية للشاعر.

ح - وهرولت في العمر...[32]

يصوّر لنا الشاعر نفسه وهو يسارع خطاه حتى يقطع طريقه في أقصر وقت ممكن، وكل ذلك فرارا من واقعه المرير، غير أن عمره هو هذا الطريق، هذه الاستعارة الانطولوجية تتفاعل مع الاستعارة الاتجاهية حتى تعيننا على فهم هذه التصوّرات بواسطة الاتجاه،

فالهرولة تكون نحو الأمام، وبالاستناد إلى مرتكزات فيزيائية وثقافية فإن الهرولة في العمر تصور لنا التقدم إلى المستقبل

الذي هو أمام، إذ إنه لا ينظر إليه إلا أنه قادم من أمام ووفق الاتجاه الذي نتحرك فيه، فما نستقبله نحن نتحرك

باتجاهه أي إلى الأمام، ومنه فنحن هنا بصدد استعارة اتجاهية، حيث يكمن المستعار منه في: إسقاط الاتجاه الفضائي " أمام " الذي يحمل دلالة الارتفاع المجرد، بينما المستعار له يكمن في: المستقبل، أي؛ إخضاع التصور المجرد " المستقبل" للتفضية.

نصل من خلال ما تم عرضه إلى تسجيل ما يلي:

- تعتبر اللسانيات العرفنيّة تيار ا لسانيا يجمع بين جملة من العلوم منها: الفلسفة وعلم النفس والذكاء الاصطناعي وعلوم الأعصاب واللّسانيات والأنثروبولوجيا، وهي تهتم بدراسة اللغة في ضوء العمليات الذهنية العرفنية.

- اتسع مفهوم الاستعارة، ولم يعد ينظر إليها كما كانت في الدراسات البلاغية التقليدية على أنها مكنية أوتصريحية فقط، بل اتسع مجالها بفضل تصورات النظرية التفاعلية خاصة مع تصوّر "جورج لايكوف" و"مارك جونسن" فهي تعبر عن تجاربنا الحياتية، وتفهم وتُؤول استنادا إلى المرتكزات الفيزيائية والثقافية والخلفيات المعرفية لطرفي الخطاب: المنتج والمتلقي.

- حفلت القصيدة باستعارات كثيرة، تنوعت بين الانطولوجية والاتجاهية والبنيوية، وهي قد تتضافر في بناء التصور القائم على تجارب الشاعر، أو في بيان أحاسيسه ورغباته.
- كل الاستعارات الواردة في القصيدة جاءت لتحقيق مقصدية الشاعر ولبيان شخصيته، فهو يصف نفسه بنفسه ويطرح أفكاره بشكل مباشر واضح ويفسر بعض أحاسيسه التي خاضها بمفرده.

الهوامش:

❁ القصيدة من ديوان " ما يراه القلب الحافي في زمن الأحذية".

1- الأزهر الزناد، نظريات لسانية عرفنية، دار العربية للعلوم ناشرون، بيروت ط1، 2010، ص: 15.

2- المرجع نفسه، ص:15.

3- لطيفة إبراهيم النّجار، آليات التصنيف اللغوي بين علم اللغة المعرفي والنحو العربيّ، مجلة 'جامعة الملك سعود، م17، 2004، ص: 05

4- المرجع نفسه، ص: 06.

5 - ينظر: عبد الحميد جحفة، مدخل إلى الدلالة الحديثة، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط:01، 2000. ص:47.

6- ينظر: جورج لايكوف ومارك جونسون، الاستعارات التي نحيا بها، ترجمة: عبد المجيد جحفة، ط1، الدار البيضاء: دار توبقال للنشر،1996م، ص: 193.

7- المرجع نفسه، ص:21.

8- المرجع نفسه، ص: 22.

9- المرجع نفسه، نفس الصفحة.

10- المرجع نفسه، ص: 22، 23.

11- المرجع نفسه، ص: 23.

12- المرجع نفسه، ص: 38.

13- ينظر: عمر بن دحمان، الاستعارات والخطاب الأدبي، كلية الآداب و اللغات، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، الجزائر، 2012، ص: 47.

14- المرجع نفسه، ص: 112.

15- ينظر: جورج لايكوف ومارك جونسون، الاستعارات التي نحيا بها، ص: 45.

16- المرجع نفسه، ص: 46.

17- ينظر: جورج لايكوف ومارك جونسون، الاستعارات التي نحيا بها، ص: 49

18- المرجع نفسه، ص: 111.

19- جورج لايكوف ومارك جونسون ، الاستعارات التي نحيا بها، ص: 54.

20- ينظر: المرجع نفسه، ص: 121.

21- عطية سليمان أحمد، الاستعارة القرآنية في ضوء النظرية العرفانية، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة، د ط، 2014، ص:44.

22- ينظر: جورج لايكوف ومارك جونسون ، الاستعارات التي نحيا بها، ، ص: 81.

23- المرجع نفسه، ص: 156.

24 - عياش يحياوي، ديوان: ما يراه القلب الحافي في زمن الأحذية، مطبعة دار الفجر، أبو ظبي، ط:02، 2008، ص: 07.

25- المصدر نفسه، ص:07

26- جميلة كرتوس، الاستعارة في ظل النظرية التفاعلية " لماذا تركت الحصان وحيدا " لمحمود درويش أنموذجا، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، إشراف: بوجمعة شتوان، جامعة: مولود معمري بتيزيوزو، 2011، ص: 93.

27- عياش يحياوي، ديوان: ما يراه القلب الحافي في زمن الأحذية، ص: 08.

28 - المصدر نفسه، ص: 08.

29 - النابغة الذبياني، الديوان، شرح وتقديم: عباس عبد الساتر، دار الكتب العلمية، بيروت/ لبنان، ط:03، 1996، ص: 28.

30- عياش يحياوي، ديوان: ما يراه القلب الحافي في زمن الأحذية، ص: 09.

31- سورة النبأ، الآية: 13.

32- عياش يحياوي، ديوان: ما يراه القلب الحافي في زمن الأحذية، ص:10.